قصة
سيدنا يوسف عليه السلام

obeikandl.com

obeikandl.com

أحسن القصص

١ ـ رُؤْيا عجِيبَة

كانَ يُوسُفُ وَلَدًا صَغيرًا ، وَكانَ لَهُ أَحَدَ عَشَرَ أخًا . وَكَانَ يُوسفُ غُلامًا جَمِيلًا ، وَكَانَ يُوْسُف غُلامًا ذَكيًّا . وَكَانَ أبُوه يَعقُوبُ يُحِبهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيع إِخْوَتِهِ .

ذَاتَ لَيْلَةٍ رَأَى يُوسُفُ رُؤْيَا عَجِيبَةً .

رَأى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكبًا ، وَرَأى الشَّمْسَ وَالقمَرَ كُلٌّ يَسْجُد لهُ .

تَعَجَّبَ يُوسُفُ الصَّغِيرُ كَثِيرًا ! وَمَا فَهِمَ هذِهِ الرؤْيا كَيْف تَسْجُد الكَوَاكِب والشَّمس والقَمَرَ لِرَجُل ؟ ذَهَبَ يوسف الصَّغِير إِلى أبيهِ يعقُوبَ . وحكى له هذه الرؤيَا العَجِيبَة .

﴿ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف:٤] .

وكانَ أبُوهُ يَعْقُوب نَبِيًّا .

فَرِح يعْقُوب بهذهَ الرُّؤيَا كَثِيرًا .

وَقَالَ : بَارَك الله لَك يَا يوسُف ، فَسَيَكون لَك شأن . هذهِ الرؤيا بشارةٌ بِعِلْم ونبوة .

و قَد أَنْعَمَ الله عَلَى جَدِّك إِسْحاقَ ، وَقَدْ أَنعَمَ الله على جدِّكَ إبرَاهِيمَ .

وَإِنه يُنْعِمُ عَليكَ وينْعِمُ على آل يَعْقُوبَ .

وَكانَ يَعْقوبُ شَيْخًا كَبيرًا ، وَكَانَ يَعْرِفُ طَبَائِعَ النَّاسِ . وَكانَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَغلِبُ الشَّيْطَان ، وَكَيفَ يَلْعَبُ الشيطان بالإِنْسَانِ .

فَقَالَ : يَا وَلَدي ، لاَ تُخبرْ بهذِهِ الرُّؤْيَا أَحَدًا مِنْ إخوتك فإِنَّهم يحسدونَكَ وَيَكُونُونَ لَكَ عَدوًّا .

٢ ـ حسد الإخوة

وَكَانَ يُوْسُفُ لَهُ أَخٌ آخَرُ مِنْ أُمِّهِ اسْمُهُ بِنْيَامِين .

وَكَانَ يَعْقُوْبُ يُحِبُّهما حُبًّا شَدِيدًا ، وَكَانَ لَا يُحِبُّ مِثْلَهُمَا أَحَدًا .

وكَانَ الإِخوَةُ يَحْسُدُونَ يُوسُفَ وَبِنيامِينَ وَيغْضَبونَ .

كانوا يَقُولون : لِماذَا يُحِبُّ أبونَا يوسفَ وَبِنيَامِينَ أَكثرَ ؟

وَلِمَاذَا يُحِبُّ أَبُونا يُوسفَ وبنيامين ، وَهُما صَغِيرَان ضَعِيفَان ! .

لمَاذَا لاَ يُحِبنا مِثْلَ يُوسُفَ بنيامين نَحنُ شباب أَقوِياءُ ، هذَا أمْر عَجيب ! .

وَكَانَ يوسُفُ وَلَدا صَغِيرًا ، فَحَكَى الرُؤيا لإخوته وَغَضِبَ الإخوةُ جِدًّا لَمَّا سمِعُوا الرَؤيا وَاشتدَّ حَسَدُهُمْ .

وَاجتَمَعَ الإِخوةُ يَوْمًا وَقَالُوا : اقْتُلوا يُوسفَ أَو اطْرَحُوُهُ أَرْضًا بَعِيدَةً .

حَينَئِذٍ يَكُونُ أَبُوكُمْ لَكُمْ خَالِصًا ، وَيَكُونُ حُبُّهُ لَكُمْ خَالِصًا .

قَال أحَدهم : لَا بَلْ أَلْقُوهُ فِي بِئرٍ فِي طَرِيقٍ يَأْخُذْهُ بَعضُ المسَافِرِينَ .

وَوافَقَ عليهِ جَمِيعُ الإِخْوَةِ .

***

٣ ـ وفد إلى يعقوب

وَلَمَّا اتَّفَقُوا عَلىَ هذا الرأي جَاؤوا إلى يَعْقوبَ .

وَكَانَ يَعْقُوبُ يخَافُ عَلَى يُوسُفَ كَثِيرًا ، وَكَانَ يعرف أنَّ الإِخْوَةَ يحْسُدُونَهُ وَلاَ يُحبُّونَهُ .

وَكَانَ يَعْقُوبُ لاَ يُرْسلُ يُوسفَ معَ الإخوةِ .

وَكَانَ يُوسُفُ يَلْعَب مَعَ أَخيهِ وَلاَ يَذهَبُ بَعِيدًا .

وكَان الإِخْوَةُ يَعْرِفُونَ ذلِكَ ، وَلكنهمْ عَزَمُوا عَلَى الشرِّ .

قَالُوا : يَا أَبَانَا لِماذَا لا ترسل مَعَنا يوسف ؟

ماذَا تَخَاف ؟!

هُوَ أخونَا العَزِيزُ ، وَأَخُوْنا الصَّغيرُ ، وَنَحن أبنَاء أبٍّ . والإِخْوَةُ دَائمًا يلعَبُون جَمِيعًا ، فلماذا لاَ نَذهَبُ نَحنُ وَنَلْعب جَمِيعًا ؟

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:١٢] .

وَكَان يَعْقُوبُ شَيْخًا كَبِيرًا ، وَكَان يَعقُوب عَاقِلًا حلِيمًا . وَكَانَ يَعقُوبُ لاَ يحبُّ أَنْ يَبْعُدَ مِنهُ يوسفُ .

وَكَانَ يَخاف عَلَى يوسُفَ كثيرًا .

فقال لأبنائه :

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف:١٣] .

قالُوا : أبَدًا كيف يَأكُلُهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ حَاضِرُونَ ؟

وَكيفَ يَأكُلُهُ ، وَنَحْنُ شُبَّانٌ أَقوِيَاءُ ؟

وَأذنَ يَعْقوبُ ليُوسُفَ .

٤ ـ إلى الغابة

وفَرِحَ الإِخْوَةُ كَثِيرًا لـمَّا أَذِنَ يَعقُوبُ ليوسفَ .

وَذهَبوا إِلى غَابَة وَألقوا يوسفَ في بِئر في الغَابَةِ ، وَلَمْ يَرحموا يُوسفَ الـصَّغيرَ ، وَلَمْ يَرْحَموا يَعْقوبَ الشَيخ الكبِيرَ .

وَكَانَ يُوسفُ وَلَدًا صَغِيرًا ، وَكَانَ قَلبهُ صَغِيرا .

وكانَتِ البِئرُ عَمِيقةً ، وَكَانَتِ الْبِئْرُ مُظْلِمَةً .

وَكَانَ يوسفُ وَحِيدًا .

وَلكن اللهَ بَشَّرَ يوسف وَقَالَ لَهُ : لا تَخْزَنْ وَلَا تَخَفْ .

إن الله مَعَكَ ، وَسَيكونُ لَك شَأْنٌ .

سَيَحْضُرُ إِلَيْكَ الإِخْوَةُ وَتُخْبِرُهُمْ بِمَا فَعَلُوهُ .

وَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ شَأْنِهِم ، وَأَلْقَوْا يوسفَ فِي الْبِئْرِ اجْتَمَعُوا وَقَالُوا :

مَاذَا نَقُولُ لأبِينَا ؟

قَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ أبُونا يَقولُ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ فَنَقُولُ لَهُ : صَدَقْتَ يَا أبانَا قَد أَكَلَه الذِّئْبُ .

وَافقَ الإِخْوَةُ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَالُوا : نَعَمْ نَقُولُ لَهُ : يَا أَبَانا قَدْ أكلَهُ الذِئبُ .

قَالَ بَعْضُ الإِخْوَانِ : وَلكِنْ مَا آيةُ ذلِكَ ؟

قالُوا :آيةُ ذِلكَ الدَّمُّ .

obeikandl.com

وَأَخَذَ الأخوة كَبْشًا وذبحوه .

وَأَخذُوا قَمِيص يُوسفَ وَصَبَغُوهُ .

وفَرحَ الإِخْوَةُ جدًا :وقالوا الآن يُصَدِّق أبُونَا .

٥ ـ أمام يعقوب

﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾ [يوسف:١٢] .

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ ﴾ .

[يوسف:١٣]

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ ﴾ [يوسف:١٨] ، وَقَالُوا : هَذَا دَمُ يُوسفَ !

وَكانَ أَبُو هُمْ يَعْقُوبُ نَبيًّا ، وَكَانَ شيخا كَبِيرًا .

وَكَانَ أعقَل مِنْ أَوْلادِهِ .

وَكَانَ يَعْقُوبُ يَعْرِفُ أَنَّ الذِّئْب إِذَا أَكَلَ إِنسانًا جَرَحَهُ وَشَقَّ قَمِيصَهُ .

وَكَانَ قَميصُ يوسفَ سَالِـمًا . وَكَانَ مَصْبوغًا في الدَّمِ .

فَعَرَفَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ دَمٌ كَذِبٌ ، وَأَنَّ قِصَّةَ الذئبِ قِصْةٌ مَوضُوعَةٌ .

فقَالَ لأَولاَده : بَلْ هَذِهِ قِصَّةٌ وَضَعْتَمُوها : ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ وَحَزِنَ يَعْقـوبُ عَلَى يُوسفَ حُزْنًا شَدِيدًا وَلِكنه صَبْرَ صَبْرًا جَميلًا .

***

٦ـ يوسف في البئر

وَرَجَعَ الإِخْوَةُ إِلى البيت ، وتَرَكُوا يوسفَ في البِئْرِ وَأَكَلَ الإِخْوةُ الطَّعَامَ ، وَنَامُوا عَلَى الْفِرَاشِ .

ويوسفُ في البئرِ ، وَلَا فِراشَ وَلَا طَعَامَ .

وَنَسِيَ الإِخْوَانُ يُوسفَ ، ونَامُوا .

وَمَا نَامَ يُوسفُ ، وَمَا نَسِيَ أَحَدًا .

وَبَقِيَ يَعْقُوبُ يَذْكُرُ يُوسفَ ، وَبَقِيَ يُوسفُ يَذْكُرُ يَعْقُوبَ .

وَكَانَ يُوسُفُ فِي البِئْر ، وَكَانَت الْبِئْرُ عَمِيقَةً .

وَكَانَت الْبِئْرُ فِي الْغَابَةِ ، وَكَانتِ الْغَابةُ مُوحِشَةً . وَكَانَ ذَلِكَ فِي اللَّيْلِ ، وَكانَ اللَّيْلُ مُظْلِمًا .

٧ـ من البئر إلى القصر

وَكَانَتْ جَمَاعَةٌ تُسَافِرُ فِي هَذِه الْغَابةِ .

وَعَطِشُوا فِي الطَّرِيقِ ، وَبَحَثُوا عَنْ بِئْرٍ .

وَرَأَوْا بِئْرًا ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهَا رَجُلًا لِيَأْتِي لَهُمْ بِالمَاءِ .

جَاءَ الرجُلُ إِلَى البِئْر ، وَأَدْلَى دَلْوَهُ .

وَنَزَعَ الدَّلْوَ ، فَإِذَا الدَّلْوُ ثَقِيلَةٌ !

وَأَخْرَجَهَا فَإِذَا فِي الدَّلْوِ غُلَامٌ !

دَهِشَ الرَّجُلُ وَنَادَى .

﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ﴾ [يوسف:١٩] .

وَفَرِحَ النَّاسُ جدًّا وَأَخْفَوْهُ .

وَوَصَلوا إِلَى مِصْرَ ، وَقَامُوا فِي السُّوق وَنَادَوا :

مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الغُلَامَ ؟ مَنْ يَشْتَرِي هذَا الْغُلَامَ ؟

اِشتَرَى الْعَزِيزُ يُوسُفَ بِدَرَاهِمَ مَعْدودَةٍ .

وَبَاعَهُ التُّجارُ وَمَا عَرَفُوا يُوسُفَ .

وَذَهَبَ بِهِ الْعَزِيزُ إِلى قَصْرِهِ ، وَقالَ لامرَأَتِهِ أَكرمي يُوسُفَ ، إِنَهَ وَلَدٌ رَشِيدٌ .

٨ ـ الوفاء والأمانة

وَرَاوَدَتْ امْرَأَةُ العَزِيزِ يُوسُفَ عَلَى الخِيَانَةِ .

وَلكنَّ يُوسُفَ أَبَى ، وَقَالَ : كَلَّا !

أَنَا لَا أَخُونُ سَيِّدي ، إِنَّهُ أَحْسَنَ إِليَّ وَأَكرمَني .

إِنِّي أَخَافُ اللهَ .

وَغَضِبَتْ امرَأَةُ العَزِيزِ وشَكَت إلى زَوْجِهَا .

وَعَرفَ العَزِيز أَنَّ المَرْأة كَاذِبَةٌ .

وَعَرفَ أَنَّ يُوسُفَ أَمِينٌ .

فقَال لِزَوْجِهِ: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٢٣] .

وَعُرِفَ يُوسفُ في مصْرَ بجَمَالِهِ ، وَإِذا رَآهُ أَحَدٌ قَالَ : ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًاۚ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [يوسف:٣١] .

وَاشتَدَّ غَضبُ المرأَةِ وَقَالَتْ لِيوسُفَ :

إِذَنْ تَذْهَبْ إِلى السِّجْنِ !

قَالَ يُوسُفُ : ﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف:٣٣] .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ رَأَى الْعَزِيزُ أَنْ يُرْسِلَ يُوسُفَ إِلَى السِجْنِ .

وَكَانَ الْعَزِيزُ يَعْرِفُ أَنَّ يُوسُفَ بَرِيءٌ .

وَدَخَلَ يُوْسُفُ السِّجْنَ .

٩ـ موعظة السجن

وَدخَلَ يُوسف السِّجنَ ، وعَرَفَ أَهْلُ السِّجْنِ جَمِيعًا أَنَّ يوسُفُ شَابٌ كَرِيمٌ .

وأنّ يُوسُفَ عِندَه عِلْمٌ عَظِيمٌ .

وَأنَّ يوسُفَ فِي صَدرِهِ قَلْبٌ رَحيمٌ .

وَأَحَبَّ أَهْلُ السِّجْنِ يُوسفَ وَأَكرَمُوهُ .

وَفَرِح النَّاسُ بيُوسفَ وَعَظَّموهُ .

ودخَلَ مَعَهُ السجنَ رَجُلاَنِ وَقَصَّا عَلَيْهِ رُؤْياهما : ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ .

[يوسف:٣٦]

وَسَألاَ يُوسُفَ عَنِ التَّأْوِيل .

وَكانَ يُوْسُفُ عالـمًا بتأويل الرُّؤْيَا .

وَكَانَ يُوسُفَ نَبيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ .

وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ يَعْبدُونَ غَيْرَ الله .

ووضَعوا أَرْبَابًا كَثِيرَةً مِن عِنْد أنفُسِهم .

وَقَالُوا هَذَا رَبُّ الْبـرِّ ، وَهَـذَا رَبُّ البَحْـرِ ، وَهَـذَا رَبُّ الـرِّزْقِ ، وَهـذَا رَبُّ المطَر .

وكَانَ يُوسُفُ يَرَى كُلَّ ذلكَ وَيضْحَكُ .

وَكَانَ يُوسُفُ يَعْلَم كُلَّ ذلك وَيَبْكِي .

وَكَانَ يُوسُفُ يُرِيدُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى الله .

وقَدْ أَرَادَ الله أنْ يَكُونَ ذَلِكَ في السِّجْنِ .

أَلَا يَسْتَحِقُّ أَهْلُ السِّجْنِ المَوْعِظَةَ ؟

أَلَا يَسْتَحِقُّ أَهْلُ السِّجْنِ الرَّحْمَةَ ؟

أَلَيسَ أَهْلُ السِّجْنِ عِبَادَ الله ؟

أَلَيْسَ أَهْلُ السِّجْنِ بَني آدَمَ ؟

كَانَ يُوسُفُ في السِّجْن ، وَلكِنَّهُ كَانَ حُرًّا جَرِيئًا .

كَانَ يُوسُفُ فَقِيرًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ جَوَادًا سَخِيًا .

إنَّ الأنْبِيَاء يَجْهَرُونَ بِالحَقِّ في كُل مَكان .

إِنَّ الأنبِياء يجودُونَ بِالخَيرِ في كل زمانٍ .

***

١٠ـ حكمة يوسف

قَالَ يُوسفُ فِي نَفسِهِ :

إنَّ الحَاجةَ سَاقت الرَّجُلَين إليَّ .

وَإنَّ صَاحب الحَاجَةِ يَلِينُ وَيَخْضَعُ .

وَإنَّ صَاحبَ الحَاجَةِ يُطِيعُ وَيَسْمَعُ .

فَلَوْ قُلْتُ لَهُمَا شَيْئًا لَسَمِعَا وَسَمِع أَهْلُ السِّجْنِ .

وَلَكِنَّ يُوسفَ لَمْ يَسْتَعْجِلْ .

بَلْ قَالَ لَهُمَا :

أَنَا أُخْبِرُكُمَا بِتَـأَوِيلِ الرُّؤْيا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا طَعَامُكُما .

فَجَلَسَا وَاطْمَأَنَّا .

ثُمَّ قَالَ لَهُمَا يُوسُفُ :

أَنَا عَالِمٌ بتَأوِيل الرُّؤْيَا ، ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٣٧] .

فَفَرِحَا وَاطْمَأَنَّا .

وَهُنَا وَجَدَ يُوسُف الفرْصةَ فبَدأ مَوْعِظَتهُ .

***

obeikandl.com

١١ـ موعظة التوحيد

قَالَ يُوسفُ : ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٣٧] .

وَلَكِنَّ الله لَا يُؤْتِي عِلْمَهُ كُلَّ أَحَدٍ .

إِنَّ الله لَا يُؤْتِي عِلْمَهُ إلى المشْرِكَ .

هَلْ تَعْرِفَانِ لِمَاذَا عَلَّمَني رَبِّي ؟

لَأَنِي تَرَكْتُ طَرِيقَ أَهلِ الشِّرْكِ .

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ﴾ [يوسف:٣٨] .

﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ﴾ [يوسف:٣٨] .

قَالَ يُوسف :

وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَيسَ لنَا فَقَطْ .

بَل هُوَ لِلناسِ جَمِيعًا .

﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ .

[يوسف:٣٨]

وَهُنَا وَقَفَ يُوسُفُ وَسَأَلَهُمَا :

تَقُولُونَ رَبُّ البَرِّ وَرَبُّ الْبَحْرِ وَرَبُّ الرزْقِ وَرَبُّ المَطَرِ .

وَنَحْنُ نَقُولُ رَبُّ العَالَمينَ .

﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ .

[يوسف:٣٩]

obeikandl.com

أَيْنَ رَبُّ الْبَرَّ وَرَبُّ الْبَحْرِ وَرَب الرِزْق ورَبُّ المطَرِ ؟

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ .

انظروا إِلى الأَرْضِ وإِلَى السَّمَاء وَانْظُروا إلى الإنسان .

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ .

وَكَيْفَ ربُّ الْبَرّ وَرَبُّ الْبَحْر وَرَبُّ الرِّزْق وَرَبُّ المطَر ؟

﴿أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ .

الحُكْمُ لله ، وَالملْكُ لله ، الأَرْضُ لله ، الأمرُ لله .

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ .

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ .

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

١٢ـ تأويل الرؤيا

وَلَمَّا فَرَغَ يُوسُفُ مِنْ مَوْعِظَتِهِ أَخْبَرَهُمَا بِتَأْوِيلِ الرُّؤيا .

قَالَ : ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف:٤١] .

﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ [يوسف:٤١] .

وَقَالَ لِلأول : ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] .

وَخرَجَ الرجلاَنِ ، فَكَانَ الأَوّل ساقيا للمَالِكَ وصُلِبَ الآخَرُ .

وَنَسِيَ السَّاقي أَنْ يَذْكرَ يُوسُفَ عِندَ الملِكِ .

وَأَقَامَ يُوسُف فِي السِّجْنِ سِنِينَ .

obeikandl.com

١٣ـ رؤيا الملك

وَرَأَى مَلِكُ مِصْرَ رُؤْيَا عَجِيبَةً .

رَأَى فِي المنَام سَبْع بَقَرَاتٍ سِمانٍ .

وَيَأْكُلُ هذِهِ الْبَقَرَاتِ سَبْعُ بَقَرَاتٍ عِجَافٍ .

وَرَأى المَلِكُ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ يَابِسَاتٍ .

تَعَجَّبَ الملِكُ مِنْ هذِهِ الرُّؤيَا العَجِيبَةِ وَسَأَلَ جُلَسَاءهُ عَنْ تَأوِيل الرُّؤيا .

قَالُوا : هَذَا لَيسَ بِشَيْء ، النَّائمُ يَرَى أَشياء كثيرَةً لا حقيقة لَهَا .

وَلَكِنْ قَالَ السَّاقي : لَا، بَلْ أُخْبِرُكُمْ بتأويل هَذِهِ الرُّؤيَا .

وذَهَبَ السَّاقي إِلَى السِّجْن ، وَسَأَلَ يُوسُفَ عَنْ تأوِيلِ رُؤْيَا المَلِكِ .

كَانَ يُوسُف جَوَادًا كَريمًا مُشْفِقًا عَلى خَلْقِ الله فَأَخْبَرَهُ بِالتَّأْويل .

وَكَانَ يُوسُفُ جَوَادًا كَرِيما لاَ يَعْرِفُ البُخْلَ .

فَأَخْبَر يُوسُفُ بِالتأوِيلِ وَدَلَّ عَلَى التَّدبيرِ .

قَالَ : تزْرَعونَ سَبْعَ سِنينَ ، وَاتْرُكُوا مَا حَصَدْتُمْ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأكُلُونَ .

وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ عَامٌ قَحْطٌ ، عَامٌ تَأكلون فِيهِ مَا خَزَنْتم إِلا قَلِيلًا .

وَيَطُولُ هَذَا الْقَحْطُ إِلَى سَبعِ سِنِينَ .

وبَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي النَّصْرُ وَيُخْصِبُ النَّاسُ .

وَذَهَبَ السَّاقي وَأَخْبَرَ المِلِكَ بِتَأْويلِ رُؤْيَاهُ .

١٤ـ الملك يرسل إلى يوسف

وَلَما سَمعَ المِلكُ هَذَا التَّأْويلَ وَالتَّدْبيرَ فَرِحَ جدًّا ، وَقالَ : مَنْ صَاحِبُ هذَا التَّأْوِيلِ ؟

وَقَالَ المِلكَ : مَنْ هَذا الرَّجُلُ الكَريمُ الَّذِي نَصَحَ لَنَا وَدَلَّ عَلَى التَّدْبير ؟

قَالَ السَّاقي : هَذَا يُوسفُ الصِّدَيقُ ، وَهُوَ الَّذِي أَخْبَرَ أَنِّي سَأَكُونُ سَاقِيًا لِسَيِّدِي الملكِ .

وَاشتاق الملك إِلى لقاءِ يُوسفَ ، وَأَرْسَلَ إِلى يُوسفَ وَقَالَ المَلِكُ : ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ .

١٥ـ يوسف يسأل التفتيش

ولـمَّا جَاءَ الرَّسُولُ إِلى يُوسفَ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ المَلِكَ يَدْعُوكَ !

مَا رَضِيَ يوسفُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ السَّجْنِ هَكَذَا .

وَيَقُولُ النَّاسُ : هَذَا يُوسُفُ ! هَذَا كَانَ أمْسِ فِي السَّجْنِ ، إِنَّهُ خَانَ العَزِيزَ .

إِنَّ يُوسفَ كَانَ كَبيرَ النَّفْسِ أَبيًا ، إِنَّ يُوسفَ كَانَ كَبِيرَ الْعَقْلِ ذَكِيًّا .

وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ مَكَانَ يُوسفَ فِي السِّجْن وَجَاءَهُ رَسُولُ المَلِكِ .

وَقَالَ لَهُ رَسُولُ المِلِكِ : إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ وَيَنْتَظِرُكَ لَأَسْرَعَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى بَابِ السِّجْنِ وَخَرَجَ .

وَلَكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يُسْرِعْ .

وَلَكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَسْتَعْجِلْ .

بَلْ قَالَ لِرَسُولِ المَلِكِ : أَنَا أُرِيدُ التَّفْتِيش ، أَنَا أُرِيدُ الْبَحْثَ عَنْ قَضِيَّتِي .

وَسَأل الملِك عَنْ يُوسُفَ ، وَعَلِمَ الملِك وَعَلِمَ النَّاسُ أَنَّ يُوسُفَ بَرِيءٌ .

وَخَرَجَ يُوسفُ بَرِيئًا وأَكْرَمَه الملِكُ .

١٦ـ على خزائن الأرض

وَكَانَ يُوسفُ يَعْلمُ أَنَّ الأمانة قَلِيلَةٌ فِي النَّاسِ .

وَكَانَ يُوسفْ يَعْلَمُ أَنَّ الخِيَانَةَ كثيرَةٌ فِي النَّاس .

وَكَانَ يُوسُفُ يَرَى أَنَّ النَّاس يخُونُونَ فِي أَمْوَالِ الله .

وَكَانَ يَرَى أَنَّ فِي الأرضِ خَزَائِنَ كَثِيرَةً وَلَكِنَّها ضَائِعَةٌ .

إِنَّهَا ضَائِعَةٌ لأن الأمراءَ (١) لَا يَخَافُونَ الله فِيهَا .

فَتَأْكُلُ كِلَابُهُمْ وَلَا يَجد النَّاسُ مَا يَأْكُلُونَ .

وَتَلْبَسُ بُيُوتُهُمْ ، وَلَا يَجِدُ النَّاس مَا يَلْبَسُونَ .

وَلَا يَنْفَعُ النَّاس بِخَزائِنِ الأرضِ إِلَّا مَنْ كَانَ حَفِيظًا عَلِيمًا .

وَمَنْ كَانَ حَفِيظًا وَمَا كَانَ عَلِيمًا لَا يَعْلَمُ أَيْنَ خَزَائِنُ الأَرْضِ وَكَيْفَ يَنْتَفِعُ بِهَا .

وَمَنْ كَانَ عَلِيمًا وَمَا كَانَ حَفِيظًا يَأْكُلُ مِنْهَا وَيَخُونُ فِيهَا .

وَكَانَ يُوسُفُ حَفِيظًا عَلِيمًا .

وَكَانَ يوسُفُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَتْرُكَ الأُمَرَاءَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ .

وَكَانَ يُوسُفُ لاَ يَقْدِر أَنْ يَرَى النَّاسَ يَجُوعُونَ وَيَمُوتُونَ .

---

(١) الولاة وأصحاب الأمر .

وَكَانَ يُوسفُ لاَ يَسْتَحي مِنَ الحَقِّ .

فَقَالَ لِلْمَلِكِ :

﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] .

وَهَكَذَا كَانَ يُوسفُ أمينًا لِخَزَائِنِ مِصْرَ .

وَاسْتَرَاحَ النَّاسُ جِدًّا وَحَمِدُوا الله .

١٧ـ جاء إخوة يوسف

وَكَانَ في مِصْرَ والشَّامِ مَجَاعَةٌ كَمَا أَخْبَرَ يوسف .

وَسَمِعَ أَهْلُ الشَّامِ وَسَمِعَ يَعْقُوب أَنَّ فِي مِصْرَ رَجُلًا رَحِيمًا . وَأَنَّ في مِصْرَ جَوَادًا كَرِيمًا ، وَهُوَ عَلَى خَزَائِنِ الأرض .

وَكَانَ النَّاسُ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَيأخذون الطَّعَامَ (١) وَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ أبناءه إِلَى مِصْرَ بِالمَالِ لِيَأْتُوا بِالطَّعَامِ .

وَبَقِي بِنْيَامينُ عِنْدَ وَالِدِهِ لأنَ يَعْقُوبَ كَانَ يُحِبُّهُ جِدًّا ، وَمَا كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَبْعِدَ عَنْهُ ، وَكَانَ يَعْقُوبُ يَخَافُ عَلَيه كَمَا كَانَ يَخَافُ عَلَى يُوسُفَ .

وَتَوَجَّهَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَى يُوسُفَ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ أَخُوهُمْ يُوسُفُ .

وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ يُوسُفُ الَّذِي كَانَ فِي الْبِئرِ .

وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ .

وَكَيْفَ لَا يَمُوتُ وَقَدْ كَانَ فِي البِئْرِ .

كَانَ فِي الْبِئْرِ وَكَانت الْبِئْرُ عَمِيقَةً .

---

(١) الحبوب .

وَكَانَتِ الْبِئْرُ فِي الْغَابَةِ ، وَكَانتِ الْغَابَةُ مُوحِشَةً .

وَكَانَ ذَلِكَ فِي اللَّيْلِ ، وَكَانَ اللَّيْلُ مُظْلِمًا .

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ [يوسف:٥٨] .

كَانُوا مُنْكِرِينَ لِيُوسُفَ لَا يَعْرِفُونَهُ ، وَلَكِنْ مَا أَنْكَرهُمْ يُوسُفُ بَلْ عَرَفَهُمْ .

عَرَفَ يُوسُفُ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ الذِينَ أَلْقَوْه فِي الْبِئْر .

وَأَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ كَانُوا يُرِيدُونَ قَتْلَهُ ، وَلَكِنَّ الله حَفِظَه .

وَلَكِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَقُلْ لَهُمْ شَيْئًا وَلَمْ يَفْضَحُهُمْ .

١٨ـ بين يوسف إخوانه

وَكَلَّمَهُمْ يُوسُفُ وَقَالَ لَهُمْ :

مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ ؟

قَالُوا : مِنْ كَنْعَانَ !

قَالَ : مَنْ أَبُوكُمْ ؟

قَالُوا : يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحاق بن إِبْرَاهيمَ (عَلَيْهِمُ الصَّلواتُ وَالسَّلَامُ) .

قَالَ : هَلْ لَكَمْ أَخٌ آخَرُ ؟

قَالُوا : نَعَمْ لَنَا أَخٌ اسْمُهُ بِنْيَامِينُ !

قَالَ : لَماذَا مَا جَاءَ مَعَكُمْ ؟

قَالُوا : لَأَنَّ وَالِدَنَا لَا يَتْرُكُهُ وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَبْعُدَ عَنْهُ .

قَالَ : لِأَيِّ شَيْءٌ لَا يَتْرُكُهُ هَلْ هُوَ وَلَدٌ صَغِيرٌ جِدًّا ؟

قَالُوا : لَا ، وَلَكِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ اسْمُهُ يُوسُفُ ، ذَهَبَ مَعَنَا مَرَّةً ، وَذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ

وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ .

وَضَحِكَ يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

وَاشْتَاق يُوسُفُ إِلى أَخِيهِ بِنْيَامِينَ .

وَأَرَادَ الله أَنْ يَمْتَحِنَ يَعْقُوبَ مَرَّةً ثَانِيَةً .

فَأَمَرَ لَهُم يُوسُفُ بِالطَّعَامِ .

وَقَالَ لَهُمْ : ﴿ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف:٥٩] .

وَلَا تَجِدُونَ طَعَامًا إِذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ .

وَأَمَرَ يُوسُفُ بِمَالِهِم فَوُضِعَ فِي مَتَاعِهِمْ .

١٩- بين يعقوب وأبنائه

وَرَجَعُوا إِلى أَبِيهِمْ وَأَخْبَرُوُهُ بِالخَبرِ وَقالُوا لَهُ : أَرسِلْ مَعنَا أَخَانَا ، وَإِلا لاَ نَجِدُ خَيْرًا عِنْدَ العَزِيزِ .

وَطَلَبُوا مِنْ يَعْقُوبَ بِنْيَامِينَ وَقَالُوا : ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف:٦٣] .

قَالَ يَعْقُوبُ : ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ .

[يوسف:٦٤]

هَلْ نَسِيتُمْ قَصَّة يُوسُفَ . أَتَحْفَظُونَ بِنْيَامِينَ كَمَا حَفِظْتُمْ يُوسُفَ .

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤] .

وَوَجَدُوا مَالَهُمْ فِي مَتَاعِهِمْ فَقَالُوا لأبِيهِمْ :

إِنَّ الْعَزِيزَ رَجُلٌ كَرِيمٌ ، قَدْ رَدَّ مَالَنا وَلَمْ يَأْخُذْ مِنَّا ثَمَنًا .

obeikandl.com

أَرْسِلْ مَعَنَا بِنْيَامِينَ نَأْخُذْ حَقَّهُ أَيْضًا .

قَالَ لَهُم يَعْقُوبُ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُعَاهدُوا اللهَ أَنَّكُمْ تَرجعُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ تُغْلَبُوا عَلى أَمْرِكُمْ .

وَعَاهَدُوا الله وَقَال يَعْقوبُ : ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف:٦٦] .

وَقَالَ يَعقُوبُ لِبَنِيه: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾ .

[يوسف:٦٧]

٢٠ـ بنيامين عند يوسف

وَدَخَلَ الإِخْوَةُ مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ كَمَا أَمَرَهُم أَبُوهُمْ وَوَصَلُوا إِلى يُوسُفَ .

وَلمَّا رَأَى يُوسُفُ بِنْيَامينَ فَرِحَ جِدًّا وَأَنْزَلَهُ فِي بَيْتِه .

وَقَالَ يُوسُفُ لِبِنْيَامِينَ : ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾ [يوسف:٦٩] ، وَاطْمَأَنْ بِنْيَامِينُ .

وَلَقِي يُوسُفُ بِنْيَامِينَ بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ . فَذَكَرَ أُمَّهُ وَأَبَاهُ وَذَكَرَ بَيْتَهُ وَذَكَرَ صِغَرَهُ .

وَأَرَادَ يُوسُفُ أَنْ يَبْقَى عِنْدَه بِنْيَامينُ يَرَاهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيُكلِّمَهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ بَيْتِهِ .

وَلَكنْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ ، وَبِنْيَامِينُ رَاجِعٌ غَدًا إِلَى كَنْعَانَ ؟

وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذَلِكَ ، وَالإِخْوة عَاهَدُوا الله عَلَى أَنْ يَرْجِعُوا بِهِ مَعَهُمْ ؟

وَكَيْفَ يُمْكِنُ لِيُوسُفَ أَنْ يَحْبِسَ بِنْيَامِينَ عِنْدَهُ بِغَيْرِ سَبَبٍ ؟

وَيَقُوُل النَّاسُ : قَدْ حَبَسَ العَزِيزُ كَنْعَانيًا بِغَيْرِ سَبَبٍ ، إِنَّ هَذَا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ .

وَلَكِنَّ يُوسُفَ كَانَ ذَكِيًّا عَاقِلًا .

كَانَ عِنْدَ يُوسُفَ إِنَاءٌ ثَمِينٌ ، وَكَانَ يَشْرَبُ فِيه ، وَضَعَ هَذَا الإِنَاءَ فِي مَتَاعِ بِنْيَامِينَ ، وَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ .

وَالْتَفَتَ الإخوةُ ، وقالُوا مَاذَا تَفْقدُون ؟

قَالُوا : نَفْقِدُ صُوَاع « إِنَاءَ » المَلِكِ ، وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ .

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾ .

[يوسف:٧٣]

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [يوسف:٧٤] .

﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

[يوسف:٧٥]

وَخَرَجَ الإِنَاءُ مِنْ مَتَاعِ بِنْيَامِينَ فَخَجِلَ الإِخْوَةُ .

وَلَكِنْ قَالُوا مِنْ غَيْر خَجَل :

إِنْ يَسْرِقْ « بِنْيَامِينُ » فَقد سَرَقَ أَخٌ لَهُ « يُوسُفُ » مِنْ قَبْلُ . وَسَمِعَ يُوسُفُ هَذَا الْبُهْتَان فَسَكَتَ وَلَمْ يَغْضَبْ ، وَكَانَ يُوسُفُ كَرِيمًا حَلِيمًا .

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:٧٨] .

﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ .

[يوسف:٧٩]

وَهَكَذَا بَقِيَ بِنْيَامِينُ عِنْدَ يُوسُفَ ، وَفَرِحَ الأَخَوَانِ جَمِيعًا .

إِنَّ يُوسُفَ كَانَ وَحِيدًا مُنْذُ زَمنٍ طَوِيلٍ لَا يَرَى أَحَدًا مِنْ أهلِهِ .

وَقَدْ سَاقَ الله إِلَيْهِ بِنْيَامِينَ أَفَلَا يَحْبِسُهُ عِنْدَهُ يَرَاهُ وَيُكَلِّمُه . وَهَلْ مِنَ الظُّلْمِ أَنْ يُقيمَ أَخٌ عِنْدَ أَخِيه أَبدًا ؟ أَبَدًا ؟

***

٢١- إلى يعقوب

وَتَحَيَّر الإِخوةُ كَيْفَ يَرْجِعُونَ إِلى أَبِيهِمْ ؟!

وَفَكَّر الإِخوةُ مَاذَا يَقُولون لأبيهم ؟!

إِنَّهُمْ فَجعُوهُ أَمْسَ فِي يُوسُفَ ، أَفَيُفْجَعُونَهُ الْيَوْم فِي بِنْيَامِينَ !

أَمَّا كَبِيرُهُم ، فَأَبى أَنْ يَرْجعَ إِلَى يَعْقُوبَ وَقَال لإِخْوَتِهِ :

﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾ [يوسف:٨١] .

وَلمـَّا سَمِعَ يَعْقُوبُ القِصَّةَ عَلِمَ أَنَّ الله يدًا فِي ذَلِكَ .

وَأَنَّ الله مُمْتَحِنُهُ .

أَمْس فُجِعَ فِي يُوسُفَ ، وَالْيَوْمَ يُفْجَعُ فِي بِنيامِين ، إِنَّ الله لَا يَجمَعُ عَلَيْهِ مُصِيبَتَيْنِ ، إِنَّ الله لَا يَفْجَعُهُ فِي ابْنَيْنِ .

إِنَّ الله لَا يَفْجَعُهُ فِي ابْنَيْنِ كَيُوسُفَ وبنْيَامِينَ .

إِنَّ لله فِي ذَلِكَ يَدًا خَفِيَّةً .

إِنَّ لله فِي ذَلِكَ حِكْمَةً مَخْفِيَّةً .

إِنَّ الله لَمْ يَزَلْ يَمْتَحِنُ عِبَادَه ، ثُمَّ يَسُرُّهُمْ وَيُنْعِمْ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ إِنَّ الابْنَ الكَبِيرَ بَقِي فِي مِصْرَ أَيْضًا ، وَأَبَى أَنْ يَرْجعَ إِلى كَنْعَانَ .

أَفَيُفْجَعُ فِي الثَّالِثِ ، أَيْضًا وَقَدْ فُجعَ مِنْ قَبْلُ فِي اثْنَينِ .

إِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ .

obeikandl.com

وَهُنَا اطْمَأنَّ يَعْقُوبُ وَقَالَ :

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

٢٢ـ يظهر السر

وَلَكِنَّ يَعْقُوبَ كَانَ بَشَرًا فِي صَدْرِهِ قَلْبُ بَشَرٍ ، لَا قِطْعَةُ حَجَرٍ .

فَذَكَرَ يُوسُفَ وَتَجَدَّدَ حُزْنُهُ وَقَالَ : ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ ؟

وَلاَمَهُ أَبْنَاءُهُ وَقَالُوا : إِنَّكَ لَا تَزَالُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَهْلِكَ .

قَالَ يَعْقُوبُ :

﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

[يوسف:٨٦]

وَكَانَ يَعْقُوبُ يَعْلَمُ أَنَّ اليَأس كُفْرٌ ، وَكَانَ يَعْقُوبُ لَهُ رَجَاءٌ كَبِيرٌ فِي الله .

وَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ أَبْناءَهُ إِلى مِصْرَ ، لِيَبْحثُوا عَنْ يُوسُفَ وَبِنْيَامِينَ وَيَجْتَهِدُوا فِي ذَلِكَ .

وَمَنَعَهُمْ يَعْقُوبُ من أَنْ يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله ، وَذَهَبَ الإِخْوَةُ إِلى مِصْرَ مَرَّةً ثَالِثَةً .

وَدَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ، وَشَكَوْا إِلَيْهِ فَقْرَهُمْ وَمصيبَتَهُمْ وَسَأَلُوهُ الفَضْلَ .

وَهُنَا هَاجَ الحُزْنُ وَالحُبُّ فِي يُوسُفَ وَلَمْ يَمْلِكَ نَفْسَهُ .

أَبْنَاءُ أَبِي وَأَبْنَاءُ الأَنْبِيَاءِ يَشْكُون فَقْرَهُم ، وَمُصيبَتَهُمْ إِلى مَلِكٍ مِنَ الملُوكِ .

إِلى مَتَى أُخفي الأَمْرَ عَنْهُمْ ، وإِلَى مَتَى أَرَى حَالَهُمْ وإِلى مَتَى لا أَرَى أَبِي ؟

لَمْ يَمْلِكَ يُوسُفُ نَفْسَهُ وَقَالَ لَهُمْ :

﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩] .

وَكَانَ الإِخْوةُ يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا السِّرَّ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا يُوسُفُ وَنَحْنُ .

فَعَلِمُوا أَنَّهُ يُوسُفُ .

سُبْحَانَ الله ! هَلْ يُوسُفُ حَيٌّ ، أما مَاتَ فِي الْبِئْرِ .

يَا سَلامُ ! هَلْ يُوسُفُ هُوَ عَزِيزُ مِصْرَ ؟

هُوَ الَّذي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ ؟

هُوَ الَّذي كَان يَأمُرُ لَنَا بالطَّعَام ؟

وَمَا بَقِي عِنْدَهُم شَكٌ أَنَّ الَّذِي يُكَلِّمُهُمْ هُو يُوسِفُ بْنُ يَعْقُوبَ !

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ﴾ .

قَال : ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠] .

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٩١] .

وَمَا لَامَهُمْ يُوسُفُ عَلَى فِعْلَتِهِمْ ، بَلْ قَال :

﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] .

***

obeikandl.com

٢٣ـ يوسف يرسل إلى يعقوب

وَاشْتَاقَ يُوسفُ إِلَى لِقَاءِ يَعْقُوبَ ، وَكَيْفَ لَا يَشْتَاقُ إِلَيْهِ وَقَدْ طَالَ الْفِرَاقُ .

وَلِمَاذَا يَصْبِرُ الآن وَقَد ظَهَرَ السِّرُّ .

وَكَيْفَ يَطيبُ لَهُ الشَّرَابُ وَالطَّعَامُ ، وَأَبُوهُ لَا يَطِيب لَهُ شَرَابٌ وَلَا طَعَامٌ وَلَا مَنَامٌ .

قَدْ انْكَشَفَ السِّرُّ ، وَقَدْ ظَهَرَ السِّرُّ ، وَقَدْ أَرَادَ الله أَنْ تَقَرَّ عَيْنُ يَعْقُوب .

وَكَانَ يَعْقُوبُ قَدْ عَمِيَ مِنْ كَثْرَةِ الْبُكَاءِ وَالحُزْنِ .

فَقَالَ يُوسُفُ :

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف:٩٣] .

٢٤ـ يعقوب عند يوسف

وَلـمَّا سَارَ الرِّجَال بِقَمِيصِ يُوسُفَ إلى كنعان .

أَحَسَّ يَعْقُوبُ رَائِحَةَ يُوسُفَ ، وَقَالَ : ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ .

[يوسف:٩٤]

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف:٩٥] .

وَلكِـنْ كَـانَ يَعقـوبُ صَـادقًا : ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٩٦] .

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٩٧] .

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يوسف:٩٨] .

وَلَمَّا وَصَلَ يَعْقُوبُ إِلَى مِصْر اسْتَقْبَلَهُ يُوسفُ ، وَلَا تَسْأَلْ عَن فَرحِهِمَا وَسُرورِهِمَا .

وَكَان يَوْمًا مَشْهُودًا فِي مِصْرَ وَكَانَ يَوْمًا مُبَارِكًا .

وَرَفَعَ يُوسُفُ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَوَقَعُوا كُلُّهُمْ سُجَّدًا لِيُوسُفَ .

وَقَالَ يُوسُفُ : ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف:١٠٠] .

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ .

وَحَمِدَ يُوسُفُ الله حَمْدًا طَيِّبًا كَثِيرًا .

وَشَكَرَ يُوسُفُ عَلَى ذلِكَ شُكْرًا عَظِيمًا .

وَبَقي يَعْقُوبُ وَآلُ يَعْقُوبَ فِي مِصْرَ زَمَنًا طَوِيلًا .

ومَات يَعْقوب وَزَوْجهُ في مصر .

٢٥ـ حسن العاقبة

وَلَمْ يَشْغَلْ يُوسُفُ هَذَا الملْكُ الْعَظِيمُ عَنْ الله وَلَمْ يُغَيِّرْهُ .

وَكَانَ يُوسُفُ يَذْكُرُ الله وَيَعْبُدُهُ وَيَخَافُهُ .

وَكَانَ يُوسُفَ يَحْكُمُ بِحُكْم الله وَيُنَفِّذُ أَوَامِرَ الله .

وَكَانَ يُوسُفُ لا يَرَى الملْكَ كَثِيرًا وَلَا يَعُدُّهُ شَيْئًا كَبِيرًا .

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يُحبُّ أَنْ يَمُوتَ مَلك وَيُحْشَرَ مَعَ الملوكِ .

بَلْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ عَبْدٍ وَيُحْشَر مَعَ الصَّالحينَ .

obeikandi.com

وَكَانَ دُعَاءُ يُوسُفَ :

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١] .

وَتوفَّاهُ الله مُسْلِما ، وَأَلحَقَهُ بِآبَائِهِ إبراهِيمَ ، وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ صَلَّى الله عَلَيْهِمْ وَعَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ .

*****

obeikandl.com